أصل النبوة :

س/ ما هو التعريف اللغوي والاصطلاحي للنبوة؟

فالنبوة : مأخوذة من النبأ، بمعنى: الخبر، ومعناها: وصول خبر من الله بطريق الوحي إلى من اختاره من عبادهِ لتلقي ذلك، وهي علاقة الوحي والإنباء، كما جاء في قوله تعالى:{ نبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ }(الحجر_٤٩) ، أي اخبرعبادي اني انا الغفور الرحيم.

وفي الاصطلاح عرفوا النبوّة بأنَّ أفراداً من البشر يشكلون واسطةً بين الله وسائر الناس، يتلقون الأوامر من الله ويبلِّغونها لهم.

النبوة واسطة بين الخالق والمخلوق في تبليغ شرعه وسفارة بين و عبيده ، ودعوة من الرحمن الرحيم - تبارك وتعالى - لخلقه ؛ ليُخرجهم من الظلمات إلى النور، وينقلهم من ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة. نعمة مهداة من الله - تبارك وتعالى - إلى عبيده، وفَضْل إلهي يتفضّل فهي بها عليهم .

هذا في حقِّ المرسل إليهم .

أما في حق المرسل نفسه، فهي امتنان من الله يمن بها عليه، واصطفاء من الرب له من بين سائر النَّاس، وهبة ربانية يختصه الله بها من بين الخلق كُلّهم .

والنبوة لا تنال بعلم ولا رياضة ولا تدرك بكثرة طاعة أو عبادة، ولا تأتي بتجويع النفس أو إظمائها كما يظن من في عقله بلادة .

وإنَّما هي محض فضل الهي، ومجرَّد اصطفاء رباني، وأمر اختياري ؛ فهو جلَّ وعلا كما أخبر عن نفسه : يَختَصُّ بِرَحْمَتِهِ، مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) [البقرة : ١٠٥].

س/ما الدليل القرآني الذي يوضح أن اختيار الأنبياء هو اصطفاء رباني وليس اختياراً بشرياً؟

فالنبوة إذًا لا تأتي باختيار النبي، ولا تنال بطلبه .ولذلك لما قال المشركون : لَوْلَا نُزِلَ هَذَا الْقُرْءَانُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عظيم ، أجابهم الرب تبارك وتعالى: (أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم معِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضُهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ) [الزخرف : ٣٠ – ٣١]. فالله تعالى هو الذي يقسم ذلك، ويتفضّل

به على من يشاء من النَّاس، ويصطفي من يشاء من عباده ويختار من يشاء من خلقه . ما كانت الخيرة لأحدٍ غيره، وما كان الاجتباء لأحد سواه .

والإيمان بالنبوة هو الطريق الموصل إلى معرفة الله ومحبته، والمسلك المفضي إلى رضوان الله وجنّته، والسبيل المؤدي إلى النجاة من عذاب الله ، والفوز بمغفرته يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحم الله : (والإيمان بالنبوة أصل النجاة والسعادة، فمن لم يُحقق هذا الباب اضطرب عليه باب الهدى والضلال والإيمان والكفر، ولم يُميّز بين الخطأ والصواب) .

وحاجة العباد إلى الإقرار بالنبوة أشدّ من حاجتهم إلى الهواء الذي يسمونه ، وإلى الطعام الذي يأكلونه، وإلى الشراب الذي يشربونه ؛ إذ من فقد أحد هؤلاء خسر الدنيا، أما من عدم الإقرار بالنبوة فخسارته أشدّ وأنكى، إذ خسر الدنيا والآخرة - عياذ بالله تعالى -.

ولا شك أن معرفة الله والإيمان به وعبادته ومعرفة رسله، وطاعته، يحتاجها كل مخلوق مكلّف ومن حكمة الله – تعالى – أنَّه كلّما كان الناس إلى معرفة شيء أحوج، فإنَّه – جل وعلا ـ يجعله سهلاً ميسَّرًا غير ذي عِوَج ولحاجة الناس إلى معرفة النبوة، والإقرار بالرسول، فقد وضحها المولى - جل وعلا – في كتابه توضيحًا أعظم من أن يُشرح في هذا المقام ؛ إذ الشرح يطول .

ولشيخ الإسلام الله كلام رائع نفيس يُجمل فيه ما قدم بيانه، يقول فيه : (فإنَّ الله - سبحانه – جعل الرسل وسائط بينه وبين عباده في تعريفهم ما ينفعهم وما يضرهم، وتكميل ما يُصلحهم في معاشهم ومعادهم، وبعثوا جميعا بالدعوة إلى الله، وتعريف الطريق الموصل إليه، وبيان حالهم بعد الوصول إليه .

س/ ماهي الأصول الثلاثة الموقوف عليها السعادة والفلاح.

فالأصل الأول يتضمن إثبات الصفات والتوحيد والقدر، وذكر أيام الله في أوليائه وأعدائه، وهي القصص التي قصها على عباده ، والأمثال التي ضربها لهم .

والأصل الثاني يتضمن تفصيل الشرائع والأمر والنهي والإباحة وبيان ما يُحبّه الله وما يكرهه .

والأصل الثالث يتضمن الإيمان باليوم الآخر، والجنة والنار، والثواب والعقاب .

وعلى هذه الأصول الثلاثة مدار الخلق والأمر ، والسعادة والفلاح موقوفة عليها، ولا سبيل إلى معرفتها إلا من جهة الرسل، فإنَّ العقل لا يهتدي إلى تفاصيلها ومعرفة حقائقها، وإن كان قد يُدرك وجه الضرورة إليها، من حيث الجملة، كالمريض الذي يُدرك وجه الحاجة إلى الطبّ ومن يداويه، ولا يهتدي إلى تفاصيل المرض وتنزيل الدواء عليه .

وحاجة العبد إلى الرسالة أعظم بكثير من حاجة المريض إلى الطب فإنَّ آخر ما يقدر بعدم الطبيب موت الأبدان وأما إذا لم يحصل للعبد نور الرسالة وحياتها مات قبله مونًا لا تُرجى الحياة معه أبدًا، أو شقي شقاوة لا سعادة معها أبدًا. فلا فلاح إلا باتباع الرسول).

ويقول أيضًا رحم الله : (والنبوة مشتملة على علوم وأعمال لا بدَّ أن يتصف الرسول بها وهي أشرف العلوم، وأشرف الأعمال. فكيف يشتبه الصادق فيها بالكاذب) .

ثانياً: تعريف النبي والرسول لغة واصطلاحاً والفرق بينهما

النَّبي في أصل اللغة: وردت لفظة (النبي) مهموزة وغير مهموزة(١):

١ – فإذا كانت اللفظة بالهمز (النبيء) فهي:

أ- إما مشتقة من النبأ، وهو الخَبَر ، فالنَّبيء بزنة (فَعِيل) يأتي بمعنى اسم الفاعل، أي: المنبئ (المخبر) عن الله تعالى. أو (فَعِيل) بمعنى اسم المفعول، أي: هو المنبأ (المخبر)، لأن الملك يُنبئه عن الله بالوحي).

ب أو أن تكون من (النبيء)، الذي هو الطريق الواضح، لأن الأنبياء هم الطرق المُوصِلة إلى الله تعالى.

وإن كانت بلا همز (النبي) فهي:

أ- إما أن تكون همزتها مخففة.

ب وإما أن تكون مشتقة من النبوة أو النَّبَاوَة، أي: الارتفاع. وهو أيضاً (فَعِيل) بمعنى اسم الفاعل أو اسم المفعول، لأن النبي مرتفع الرتبة على غيره أو مرفوعها.

والرَّسُول في أصل اللغة: لفظة مأخوذة:

أ- من قولهم جاءت الإبل رَسُلاً، أي: متتابعة، فالرَّسُول هو الذي يتابع أخبار الذي بعثه .

ب- من رسل اللبن إذا تتابع دره، لأن الرسول هو الذي يتتابع عليه الوحي

النَّبِيِّ والرَّسُول في الاصطلاح

جاء القرآن الكريم بهاتين الكَلِمَتَين معاً في قوله تعالى : وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِي) - الحج ٥٢، وقد اختلف العُلَماء في بيان معناهما على أقوال أهمها:

القول الأول: النبي إنسان أوحي إليه بشرع (أي: أحكام)، سواء أمر بتبليغه والدعوة إليه أم لا، فإن أمر بذلك فهو نَبِي رَسُول، وإن لم يُؤمر فهو نَبِي غير رَسُول.

فالفرق بينهما بالأمر بالتبليغ وعدمه.

فالنبي أعم من الرَّسُول، أي: يلزم من كونه رَسُولاً أن يكون نبياً، ولا عكس

وهذا القول هو المشهور. وبه قال الجمهور وعامة الأَشَاعِرَة وَصَحَّحَهُ المهدوي والقاضي عياض في كتابه الشفا، حيث قال: (والصَّحِيح والذي عليه الجماء الغَفِيْرِ، أَنَّ كل رَسُول نَبِيٍّ، وليس كل نَبِي رَسُولاً).

القول الثاني: النبي : إنسان بعثه الله لتبليغ ما أوحى إليه، وكذا الرَّسُول، فلا فرق بينهما، بل هما بمعنى واحد. وهو الذي عزاه ابن الهمام إلى بعض المحققين. وهو مَذْهَب جُمْهُورِ المُعْتَزِلَة.

ورد هذا القول بما يأتي:

النبي مساوياً للرسول لما عطف عليه، لأن نفي أحد المتساويين يستلزم نفي الآخر بقوله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِي) - الحج ٥٢ ، فلو كان حَدِيث أبي ذر في بيان عدد الرسل والأنبياء يقتضي أن الرسل هم غير الأنبياء ،وهذا القول يقتضي اتحادهما، فهو مخالف للحديث.

ثالثا :ضرورة النبوة

س/ لماذا لم يكل الله الإنسان إلى عقله وحده لتنظيم سلوكه في الحياة؟

ان الله تعالى لم يكل الإنسان إلى عقله وحده لتنظيم سلوكه في الحياة ، لأن معنى الخير في نظر إنسان قد يختلف معناه عند إنسان آخر ، وكذلك الشر . ودليل ذلك اختلاف الفلاسفة في معنى الخير والشر وفي معنى اللذة والألم ، وفي معنى السعادة والشقاء .

س/كيف يؤثر العمر والتجربة على قدرة الإنسان على التمييز بين الحسن والقبح؟

والعقل وان كان قادراً على التمييز بين الحسن والقبح في فترة من فترات عمر الإنسان ، لا يقدر على التمييز كل سني حياته . فإن عقل الإنسان وهو صبي يختلف عن عقله وهو شاب ويختلف عن عقله وهو كهل لا يعلم من بعد علم شيئاً ، وعقل المجرب يختلف عن عقل الذي لم يجرب ، وعقل العالم يختلف عن عقل الجاهل. وهذا مشاهد ومعروف . ومشاهد أيضاً ومعروف أن الحسد يؤثر في توجيه عقل الإنسان نحو الباطل مع أن عقل الإنسان يعرف أنه باطل ، ويجادل بالباطل ليدحض به الحق

س/لماذا أرسل الله الأنبياء والرسل إلى البشر؟

ومن أجل ذلك أرسل الله الأنبياء والرسل رحمة بالناس لتنظيم أمور المعاش ، ولئلا يقصروا في عبادته بحجة أنه ما جاءهم من بشير ولا من نذير ، ولئلا ينكروا وجود الله واليوم الآخر بسبب وسوسة الشياطين وإلقائهم الشبه في عقول الناس .

حياة النبي :

يمتاز النبي عن سائر البشر بالعقل الراجح والخلق العظيم . من قبل النبوة ومن بعدها ، لأن الناس لا يصدقون إلا من يثقون فيه . وهل هو في غير الوحي معصوم من الخطأ أم غير معصوم ؟ أجل هو معصوم من الخطأ ، لأن كل أعماله مستمدة من وحي الشرع ، ولا يليق بالقدوة أن يفعل غير ما يقول به .

طرق إعلام الله للبشر :

س/كيف تساهم طرق إعلام الله للبشر في توجيههم نحو الحق؟

بين الله تعالى في القرآن الكريم طرق إعلام مقاصده للبشر في الآية الكريمة : (وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحياً ، أو من وراء حجاب ، أو يرسل رسولاً ، فيوحى بإذنه ما يشاء إنه علي حكيم) [الشورى ٥١] فالطرق ثلاثة وهي : ١ - الوحي ، ٢ - والكلام من وراء الحجاب ، ٣ - وإرسال الرسل . والوحي هو القذف في القلب رؤيا أو يقظة . والكلام من وراء حجاب هو كلام الله الذي يفهمه السامع ، والسامع يسمع صوت الكلام ولا يرى الله .

دلائل إثبات النبوة

س/ما هما الشرطان الأساسيان لإثبات النبوة؟

أن إثبات النبوة لا يكون إلا باجتماع أمرين:

أولهما: ادعاء النبوة.

وثانيهما: إظهار المعجزة.

فكل من ادعى النُّبُوَّة وأظهر المُعْجِزَة فهو نَبِيٌّ.

وهذان الأمران يثبتان نبوَّة مُحَمَّد ، وهما يشكلان المبدأ الأول في إثباتها.

س/كيف تثبت نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ؟

ويمكن توضيح الأمرين المثبتين لنبوة الرَّسُول الأعظم مُحَمَّد (صلى الله عليه وسلم) وهما :

الأول: ادعاء النبوة : تواتر عن النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أنه ادَّعَى النُّبُوَّة بلا خلاف من أحد تواتراً ألحقه بالعيان والمشاهدة.

الثاني: إظهار المعجزة ثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه أظهر المعجزة.

صفات الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام.

جبل الله تعالى بعض الناس على مواهب معينة كالقوة والشعر والفنون... يتفوق بها على الآخرين، ووَهَبَ الأنبياء والرسل الكفاءة العالية لقيادة الناس وهدايتهم إلى الصراط المستقيم، لذلك امتازوا بصفات فيها جميع خصال الخير، بعيدة عن جميع النقائص، التي لا تليق بهم.

س/ما هي الصفات الواجبة في الأنبياء ؟

وهذه الصفات الواجبة في حقهم هي: العصمة، والتبليغ، والفطانة، والذكورة، والسلامة من النقائص.

الصفة الأولى: العصمة

س/ما مفهوم العصمة في حق الأنبياء ؟

العِصْمَة لُغَةً: الحفظ.

واصطلاحاً: هي أن لا يخلق الله تعالى فيهم ذنباً.

أو هي لطف من الله تعالى، يحمله على فعل الخير، ويزجره عن فعل الشر. مع بقاء الاختيار، تحقيقاً للابتلاء.

والذنب إما أن يكون من الكبائر أو من الصغائر.

النوع الأول: العصمة من الكبائر

للكبائر تعريفات مُخْتَلِفَة، أرجحها

أن **الكبائر** هي: ما ترتب عليها حد أو توعد عليه بالنار أو اللعنة أو الغضب.

أما **الصغائر** فهي: ما ليس فيها حد في الدنيا ولا وعيد في الآخرة .

والكبائر إما كفر أو كذب أو غيرهما من الذنوب الكبيرة الأخرى. وتفصيل عِصْمَة الأنبياء عن هذه الأنواع من الكبائر هو :

أولاً: العِصْمة من الكفر :

اتفق جُمْهُور المُسْلِمِين على أن الأنبياء عليهم السلام معصومون من الكفر قبل الوحي وبعده، ولا يجوز الكفر عليهم في حال صغرهم تبعاً للوالدين، لأنهم مُؤْمِنون بالله، عارفون به حقيقة، فلا يجري عليهم حكم الكفر تبعاً.

ثانياً: العِصْمة من الكذب

الصدق هو مطابقة حكم الخبر للواقع. وأنواعه ثلاثة:

١ - الصدق في دعوى الرسالة.

٢- الصدق في ما يبلغونه عن الله عَزَّ وَجَلَّ إلى الناس من الأَحكام الشَّرْعِيَّة.

٣- الصدق في جميع ما ينطق به مما يتعلق بأمور الدنيا.

وضده الكذب، فيستحيل صدور الكذب عن الأنبياء فيهما دَلَّ المُعجز القاطع على صدقهم فيه كدعوى الرسالة، وما يبلغونه عن الله تعالى إلى الخلائق، على سبيل العمد بإجماع أهل الملل والشرائع كلها، ويستحيل صدوره على سبيل السهو والنسيان عند أكثر الأئمة الأعلام. وهو المعتمد على ما أفاده المحققون.

أما الكذب فيما يتعلق بغير الإرسال والتبليغ فالحق أنه من عداد سائر الذنوب.

والدليل العقلي على صدق الأنبياء هو :

أ- لو جاز عليهم الكذب والافتراء، للزم الكذب في خبره تعالى، وهو محال، لأنه تعالى صدقهم بالمعجزات.

ب الكذب معصية، وهم معصومون منها.

ج – لو كذبوا، وعرف الناس منهم ذلك، لا نتفت فائدة الرسالة

والدليل النقلي على صدقهم:

أ- قوله تعالى : وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى) – النَّجْم).

ب – قوله تعالى: (وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ) – يس ٥٢ .

ج – قوله تعالى : وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ) – الحَاقَّة.

ثالثاً: العصمة من الكبائر الأخرى:

ونبين هنا حال صدور الكبيرة عنهم عمداً أو سهواً، قبل البعثة أو بعدها.

قبل البعثة:

الأنبياء قبل بعثتهم معصومون عن صدور الكبيرة، التي توجب النفرة منهم مطلقاً، كعهر الأمهات والفجور في الآباء.

أما الكبائر الأخرى فلا يمتنع صدورها عنهم عند أكثر الأشاعرة وجمع من المُعْتَزِلة، إذ لا دلالة للمعجزة على امتناع الكبيرة قبل البعثة. وبه قال الإباضية.

وقال أكثر المُعْتَزِلَة: يمتنع صدور الكبيرة منهم، لأنها توجب النفرة عمن ارتكبها، وهي تمنع عن اتباعه، فتفوت مصلحة البعثة.

بعد البعثة إلى:

هم معصومون منها عمداً، وهو قول الجمهور من المحققين والأئمة، ومعصومون منها سهواً أو على سبيل الخطأ في التأويل، وهو المختار.

ثانياً : العصمة من الصغائر

الصغائر نوعان:

أ- **صغائر الخسة**: التي تلحق فاعلها بالأراذل كسرقة حبة أو لقمة والتطفيف بتمرة.

والأنبياء قبل البعثة: معصومون منها.

وبعد البعثة كذلك، فلا تصدر عنهم أصلاً، لا عمداً ولا سهواً بالاتفاق.

ب- **الصغائر الأخرى:**

والأنبياء غير معصومين منها، قبل البعثة عمداً وسهواً.

أما بعد البعثة فهم معصومون منها عمداً، وتجوز سهواً، لكن لا يُصِرُّون عليها، ولا يُقرون من الله تعالى عليها ، بل يُنبهون فيتنبهون. وعليه المحققون من المُحَدِّثِين والسلف الصالح ، لقوله : (إنما أنا بَشَر أَنْسَى كما تنسون، فإذا نسيت فذكروني)). هذا قول الأشاعرة.

وذهب المعتزلة إلى تجويز الصغائر على الأنبياء، إما على سبيل السهو على

قول بعضهم، أو على سبيل التأويل على قول قوم منهم، أو لأنها تقع محبطة بكثرة ثوابهم.

فعصمة الأنبياء عند المُعْتَزِلَة هي عن الكبائر عمداً أو سهواً، والصغيرة عندهم لا تُخل بالعِصْمَة.

وذهب الزيدية كالمُعْتَزِلَة إلى تجويز الصغائر على الأنبياء، والمنع من وقوع الكبائر منهم .

وقالت الإمامية: يجب عصمتهم عن الذنوب كلها صغيرة أو كبيرة، عمداً وسهواً، قبل الوحي وبعده.

أدلة عصمة الأنبياء

استدل العلماء على عِصْمَة الأنبياء بأدلة كثيرة منها :

١ – لو صدر منهم الذنب لحرم أتباعهم فيما يصدر عنهم، مع أن أتباعهم فرض، وللإجماع، ولقوله تعالى: قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ - - آلَ عِمْرَان ٣١.

٢- لو أذنبوا لردت شهادتهم، إذ لا شهادة لفاسق بالإجماع، ولقوله تعالى : {يأيُّها الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَاء فَتَبَيَّنُوا }- الحُجُرَات:٦ ، لأن من لا تقبل شهادته في القليل الزائل من متاع الدنيا، كيف تسمع شهادته في الدين القيم ؟ أي: القائم إلى يوم القيامة.

٣- إن صدر عنهم ذنب وجب زجرهم وتعنيفهم، لعموم وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا شك أَنَّ زجرهم إيذاء لهم، وإيذاؤهم حرام إجماعاً، لقوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مهينا – الأحزاب

٤-لو أذنبوا لاستحقوا العذاب واللوم والطعن، لدخولهم تحت قوله تعالى: وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا - الجن ٢٣ ، وقوله سُبْحَانَهُ: أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ) – البقرة ٤٤ ، لكن ذلك مناف بالإجماع، ولكونه من أعظم المنفرات.

٥- قوله تعالى في إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاق وَيَعْقُوبَ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ) - الأنبياء ٩٠ ، والجمع المُحَلَّى بالألف واللام للعموم، فيتناول جميع الخيرات من

الأفعال والتروك، وقوله وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ) - ص ٤٧، أي: من المصطفين الأخيار في كل الأمور، فلا يجوز صدور ذنب عنهم.

٦- لو جاز عنهم أن يخونوا الله تعالى بفعل محرم أو مكروه، للزم أن يكون ذلك المحرم أو المكروه طاعة، لأن الله تعالى أمرنا باتباعهم في أقوالهم وأفعالهم من غير تفصيل إلا فيما ثبت اختصاصهم به، فكل ما صدر منهم فنحن مأمورون به، وكل مَأْمُور به، فهو طاعة، لأن الله تعالى لا يأمر بالفحشاء.

الصفة الثانية: التبليغ

هو إيصال الأحكام التي أمروا بتبليغها إلى المرسل إليهم، ليرشدوهم إلى سعادة الدنيا والآخرة، وكل منهم لم يخف عن الناس من ذلك شيئاً عمداً أو سهواً.

وأقسام الموحى به ثلاثة:

١ – قسم أمروا بكتمانه، كبعض الأسرار الإلهية، فهو خاص بينهم وبين ربهم، لم يبلغوا منه حرفاً.

٢ - قسم خيروا فيه بين التبليغ وعدمه، بلغوا بعضه وكتموا البعض الآخر.

٣- قسم أمروا بتبليغه، فلم يكتموا منه حرفاً.

وهذا القسم (الأخير) هو الذي بلغوه إلى من أرسلوا إليه، لأنهم مأمورون بتبليغه، لوجوبه عليهم.

والدليل العقلي على وجوبه

١ - أنهم لو كتموا شيئاً مما أمروا بتبليغه للخلق، لأصبحنا مأمورين بكتمان العلم، لأن الله أمرنا بالاقتداء بهم، مع أن الأحاديث صريحة في أن كاتم العلم ملعون.

٢- أنهم لو كتموا شيئاً مما أمروا بتبليغه، لكانوا خائنين، مع أنهم معصومون عن الخيانة.

٣- أنهم مبشرون ومُنْذِرون، لقوله تعالى: رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ) - النساء

١٦٥ ، ولا يتم التبشير والإنذار إلا بالتبليغ.

٤- لو أنهم كتموا ما أمروا بتبليغه لكانوا ملعونين بنص الكتاب، قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُوْلَئِكَ يَلْعَنُهُمُ الله) - البقرة ٤١١٥٩).

الصفة الثالثة: الفطانة

هي: التيقظ والتفطن وحدة العقل وذكاؤه وقوة الرأي.

فلا يجوز أن يكون النَّبِيِّ مُغَفَّلاً أو بليداً أو أبله.

الدليل العقلي على وجوب هذه الصفة للأنبياء:

١. لأنهم أرسلوا لإقامة الحجج وإبطال شبه المجادلين، ولا يكون ذلك من أبله ولا من مُغَفَّل).
٢. لأنهم ساسة الجميع ومرجعهم في المشكلات .
٣. لأننا مأمورون بالاقتداء بهم في الأقوال والأفعال، والمقتدى به لا يكون بليداً البلادة صفة نقص، تُخلّ بمنصبهم الشريف.

<u>والدليل النقلي عليها:</u>

١ – قوله تعالى ﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا ﴿٧٩﴾ ﴾ الأنبياء: ٧٩ .

٢- قوله تعالى: ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ﴾ ص: ٢٠ .

قوله تعالى ﴿ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴿١٢٥﴾ ﴾ النحل: ١٢٥ ، أي: بالطريق التي هي أرفق بهم، والجدال لا يكون إلا من فطن ذكي)

الصفة الرابعة : الذكورة

اختلف العلماء في أن الذكورة شرط في الأنبياء على قولين:

القول الأول: الذكورة شرط في النبي، وهو الذي اتفق عليه جمهور العُلَمَاء، فلا يجوز أن تكون المرأة نبية، بل إن بعضهم نقل الإجماع على هذا القول. ومن أَدِلَّة هذا الشرط ما يأتي:

أ- قوله تعالى﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم ﴿١٠٩﴾ ﴾ يوسف: ١٠٩ ، فأثبت الرسالة للرجال الموحى إليهم، وأشهر بنفي ذلك عن غيرهم، فلا تكون أُنثى نبية.

ب- وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا ﴿٩﴾ ﴾ الأنعام: ٩ .

ج- النبوة والرسالة تقتضي : الاشتهار بالدعوة، وإظهار المعجزة، ولزوم الاقتداء. والأنوثة توجب الستر، فبينهما تنافي.

د- النساء لا يصلحن للإمارة والسَّلْطَنَة والقضاء وإقامة الصلاة بالإجماع، فلا يصلحن للنبوة من باب أَوْلَى.

القول الثاني: لا تشترط الذكورة في النبي، وهو قول الأَشْعَرِي والقُرْطبي وبعض أهل الظاهرية والحديث ، فقالوا بنبوة مريم، بدليل :

قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ ﴾ مريم: ١٦ ، فذكرها تعالى في عداد الأنبياء.

الصفة الخامسة السلامة من النقائص

وأعني بهذا الشرط الأمور الآتية:

أ- أن يكون سالماً من نقص الخلقة. فشرطه أن يكون أَكْمَل أهل زمانه خَلْقاً حال الإرسال (أي: حال بعثه إلى الناس).

وقد يُعترض بعُقْدَة لِسَانَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَيُجاب:

بأن عُقْدَة لِسَان مُوسَى عَلَيْهِ السَّلام كانت قبل الإرسال، وأزيلت بدعوته عند الإرسال، بدليل:

دعاء مُوسَى عَلَيْهِ السلام حين أوحى الله تعالى إليه، وأمره بالدعوة قال: ﴿ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ ﴾ طه: ٢٧ ، فأجابه تعالى : ﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ ﴾ طه: ٣٦ .

ب- أن يكون سالماً من العيوب المنفرة للطباع من الأمراض والأسقام كالبرص والجزام).

وقد يعترض ببلاء أيوب عَلَيْهِ السلام الذي أصيب بداء جِلْدِي نَفَّرَ الناس منه، فيجاب:

بأن بلاءه كان قبل نبوته عَلَيْهِ السلام، وقد زال بعدها، قال سُبْحَانَهُ: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ الأنبياء: ٨٤

ج – أن يكون سالماً من دناءة الصناعة كالحجامة، ومن قلة المروءة كالأكل على الطريق. وهذا مبني على تقدير : (أن العرف كان يستنكر ذلك في زمن النبي) .

د- البعد عن الله تعالى، إذ هي منبع المعاصي، لأن القلب هو المُضْغَة التي إذا صَلَحَت أن يكون سالماً من القسوة والفظاظة والغلظة ، لأن قسوة القلب موجبة للبعد عن الله تعالى، إذ هي منبع المعاصي، لأن القلب هو المُضْغَة التي إذا صَلَحَت صَلَحَ الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، كما نطق به الحديث الصحيح، قال: (إن أبعد الناس من الله القلب القاسي).

ولأن الغلظة والشدة وعدم اللين مع الناس، يوجب النفرة من النَّبيِّ، لذلك يقول الله تعالى : ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ ﴿١٥٩﴾﴾ آل عمران: ١٥٩ .

وأخيراً:

فإن هذه الصفات التي مرت بنا الواجبة للأنبياء، تعني اتصافهم بكل كمال إنساني، وتنفي عنهم كل نقص بشري، لأن النُّبُوَّة أَشْرَف مناصب الخلق، ومقتضية لغاية الإجلال اللائق بها، فيعتبر لها انتفاء ما ينافي ذلك.

لذا يستحيل على الأنبياء أضداد الصفات المتقدمة الواجبة في حقهم عليهم السلام، فيستحيل عليهم:

ما هو ضد العصمة، مثل الخيانة والكذب والكفر وارتكاب الذنوب.

وما هو ضد التبليغ، مثل كتمان ما أمروا بتبليغه.

وما هو ضد الفطانة، مثل البلادة والغفلة والبلاهة.

وما هو ضد السلامة من النقائص، كالعيوب التي تُخِلُّ بالشخصية، التي تُخِلُّ بحكمة بعثتهم رسلاً مبشرين ومنذرين.

منكري النبوات وشبهاتهم

ذهب قوم إلى القول بعدم حاجة الإنسان إلى هدي النبوة، فأنكروها زاعمين أن الإنسان يستطيع أن يكتفي بعقله في تنظيم حياته.

ومنكرو النبوة فريقان:

الفريق الأول: فريق ينكر النبوات، لأنه ينكر الإله تعالى، ومعلوم أن من ينكر وجود المرسل لا بد وأن ينكر رسوله.

ومناقشة هذا الفريق لا تكون في إثبات النبوات، وإنما تكون في إثبات وجود الله عَزَّ وجل. وتقدم الكلام عن ذلك في فصل الإلهيات.

الفريق الثاني: يعترف بوجود الله تعالى، ويؤمن به، ولكنه ينكر النبوات، مكتفين بما تدركه عُقُوهُم من خير أو شر.

وعلى رأس هذا الفريق كثيرٌ من بَرَاهِمة الهند والصابئة وبعض الفلاسفة، وقد تأثر بفلسفتهم بعض من المُسْلِمِين كأبي الحُسَيْنِ أَحْمَد بن يَحْيَى الرَّاوَنْدِي، المُتَوَفَّى سنة ٢٤٥هـ.

ومن أَدِلَّة إنكار النبوات:

١ – إن ما يأتي به الرَّسُول لا يخلو : إما أن يكون مما يدركه العقل، أو مما لا يدركه.

فإن جاء بما يوصل إليه العقل كان لا فائدة من بعثه، ويكون في العقل كفاية، وإذا خلا عن غرض صَحِيح فهو عَبَثٌ وسَفَهٌ.

وإن جاء بما لا يدل عليه العقل، فلا يتلقى بالقبول، لأن المقبول هو الذي تدركه العقول.

وأجيب: بأن هذا الدليل واضح البطلان، لأن كل مطلع على الرسالات السماوية يعلم أنها قد اشتملت على ما يعرفه العقل وعلى ما لا يعرفه:

فأما ما يعرفه العقل فكان لهذه الرسالات مهمة التأكيد عليه.

وأما ما لا يعرفه العقل - وهو الأكثر - فإن للرسالات السماوية دور إرشاد العقل إليه، وتنبيهه إلى ما فيه النافع الصالح).

- إن الرَّسُول من جنس المُرسل إليه، وجوهرهما واحد، وتفضيل أحد المتماثلين المتساويين على مثله ونوعه حيف ومحاباة وخروج عن الحكمة، وذلك غير جائز على الحَكِيمِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وأجيب بما يأتي:

أ- إن الله تعالى أن يخص بفضله من يشاء من خلقه، كما أن له أن يسوي بين سائرهم، فإن ذلِكَ عَدْل منه وصواب من تدبيره. والله تعالى لا يفضل أحد الشخصين على الآخر المجانس له ابتداء ولا لأجل جنسه، ولكن لأجل أنه مستحق للتفضيل بالرسالة وإخلاصه في الاجتهاد

يلزم من قولكم أن يكون الله غير عادل، لأنه خص بعض خلقه بالعلم والقوة وكمال العقل والحواس، وخلق في بعض آخر الجهل والعمى والزمانة. وأنتم لا تقولون بذلك، بل تقولون إن ذلك لمصلحة الطرفين وسبيل لهم إلى نفع عظيم، وهو تعالى أعلم به، لذلك فإن إرساله تعالى بعض الخلق مصلحة للطرفين، الرَّسُول والمُرْسَل إليه، ولطفاً لهم في النظر في حجج العقول التي أمرهم بالرجوع إليها والعمل على موجبها.

لا يجوز في حكمة الله عَزَّ وَجَلَّ أن يبعث رَسُولاً إلى من يعلم أنه يكفر به، ويرد قوله، فوجب نفي بعث الرسل إلى هؤلاء، لأن ذلك خلاف الصواب.

وأجيب: بأنه يترتب على قولكم هذا:

أ- جواز بعث الرسل إلى من يعلم قبوله منهم وانتفاعه بهم.
ب- أن لا يخلق الله سُبْحَانَهُ من يعلم أنه يكفر به.
ج- أن لا يحتج الله تعالى بالعقول، وما وضعه فيها من الأدلة على من يعلم أنه يجحدها ولا يستعملها.

فإن قالوا: لقد استدل بها كثير.

قيل لهم: وقد صدق بالرسل أيضاً كثير.

- إن كان الله تعالى إنما بعث الرسل إلى الناس، ليُخرجهم من الضلال إلى الإيمان، فقد كان أولى به في حكمته، وأتم المراده أن يضطر العقول إلى الإيمان به.

وأجيب: بأنه يلزم من دليلكم القول بأنه كان أَوْلَى في حكمته أن لا يدعو الناس إلى الاستدلال، لكي يؤمنوا، لا سيما وأنه تعالى يعلم أنَّ في الناس من لا يستدل، وفيهم من يغمض عليه الاستدلال.

فكان أولى به أن يضطر عُقُوهُم إلى الإيمان به، ولا يكلفهم مؤونة النظر والاستدلال، وأن يلطف بهم ألطافاً يختار جميعهم معها الإيمان كما فعل بالملائكة.

٥- إن مما يُبطل الرسالة هو أنا وجدنا المدعين لها يستدلون على صدقهم بمستحيلات عقلية مثل: فلق البحر، وخلق ناقة من صخرة، وقلب العصا حية، وإحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، والمشي على الماء، وإنطاق الذئب والحصا.... ونحو ذلك).

وأجيب: بأن امتناع هذه الأمور في نظركم، لا يخلو:

إما أن يكون في قدرة الصانع عَزَّ وجَلَّ، أو في العادة.

فإن قالوا: إنه ممتنع في قدرة الصانع. فقد ألحدوا وتركوا دينهم، لأنه يلزم أن يقولوا بامتناع خلقه تعالى لآدم وسائر المخلوقات. ولما قام الدليل على أن الله تعالى له الأمر والخلق والملك فله أن يتصرف في عباده بالأمر والنهي، وله أن يختار منهم واحداً لتعريف أمره ونهيه، فيبلغ عنه إليهم، فلا استحالة في ذلك.

فإن قالوا: بل ذلك ممتنع في العادة.

قيل لهم وما المانع من أن ينقض الله تعالى العادات، ويظهر المعجزات على أيدي رسله)، كدليل قاطع على صدقهم ؟

٦- إن الإنسان يمكنه الاكتفاء بالعلم في تنظيم حياته.

أجيب: بأن العلم مع تقدمه لا يزال باعتراف أقطاب العلم عاجزاً عن استكناه الكثير من أسرار الكون وألغاز الحياة. ثم إن أغلب نظرياته ظنية دحض منها اليوم ما كان مسلماً به بالأمس.

ولو فرضنا أن العلم بعد نضوجه وبُلُوغه مَرْحَلَة الكمال يستطيع أن يضمن للبشرية سعادتها وينظم لها شؤونها. فمن المحقق أنه لن يهيمن على النفس البشرية هيمنة النبوة والتشريعات الإلهية، لذلك يبقى للنُّبُوَّة سُلْطَانها ودورها الرئيس في تهذيب النفس وكبح جماحها، وتوجيهها نحو الخير والحب والسلام).

٧- إن النظم والتشريعات التي يضعها الإنسان من وحي تجربته، وحاجاته المتطورة

تغني عن هدي النبوة فلا حاجة للبشر إليها.

أجيب : بأن سيطرة القوانين الوضعية على النفس هي سَيْطَرَة ظَاهِرِيَّة فقط غالباً، وامتثال الفرد لها امتثال شكلي في الغالب، وإذا تهرب الفرد منها فقد لا تراه عين القانون، وقد يتباهى البعض بمهارته في الانفلات من عقوبة القانون.

في حين أن الدين يسيطر على نفسية الفرد المتدين ومشاعره، فيكون امتثاله حقيقياً ظاهراً وباطناً، لاعتقاده أن الله تعالى يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ) – غافر ١٩، وامتثال أوامره مدعاة إلى رضوانه ونعمائه، وعصيانه باعث على سخطه وعقابه.

السمعيات

هي ما يتوقف الإيمان به على مجرد ورود السمع أو الوحي به وليس للعقل في إثباتها أو نفيها مدخل، كأشراط الساعة، وتفاصيل البعث والجزاء، والصراط، والحوض، وأخبار الجنة والنار ونحو ذلك. فالسمعيات تسمية تطلق على المسائل المتعلقة باليوم الآخر، بناء على أن هذه المسائل لا تعلم إلا بالسمع، أي أن مصدر التلقي فيما يتعلق باليوم الآخر هو السمع فقط.

البرزخ

البرزخ لغة : ما بين كل شيئين من حاجز، وفي الآية : ﴿ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ ﴾ الرحمن: ٢٠ ،أي حاجز يمنعهما من أن يختلط أحدهما بالآخر .

والبرزخ في الاصطلاح : هو الحاجز بين الدنيا والآخرة. قال تعالى : ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ المؤمنون: ١٠٠ .

القبر أول منازل الآخرة

معنى القبر:

القبر مفرد، وجمعه القبور وهو جمع كثرة، وأقبر وهو جمع قلة : ويقال لمدفن الموتى مقبر ومقبرة.

سؤال القبر

ويراد به: أن الله تعالى يحيي العبد المكلف في قبره يردّ الحياة إليه، ويجعله من العقل في مثل الوصف الذي عاش عليه، ليعقل ما يسأل عنه، وما يجيبه، ويفهم ما آتاه من ربه، وما أعد له في قبره من كرامة أو هوان .

والأدلة على ثبوت سؤال القبر كثيرة منها :

١- قوله : المُسلِم إذا سُئِلَ في القبر، يَشْهَدُ أن لا إله إلَّا الله، وأن مُحَمَّداً رَسُول الله، فذلك قوله: (يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) - إِبْرَاهِيم ٢٧ . أَخْرَجَهُ البُخَارِي. ورواه مسلم وفيه عن البراء بن عازب عن النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ - ابراهيم ٢٧ قال: نزلت في عذاب القبر، فيقال له من رَبُّكَ ؟ فيقول: رَبِّيَ اللهُ، وَنَبِيِّي مُحَمَّد . فَذَلِكَ قوله عَزَّ وَجَلَّ: (يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ - ابراهيم ٢٧.

٢- قوله : (إنَّ العبد إذا وُضِعَ في قبره، وتولَّى عنه أصحابه، وإنه لَيَسْمَعُ قَرْعَ نعالهم، أَتاه مَلَكَانَ فَيُقْعِدَانِه، فيقولان: ما كنتَ تَقولُ في هَذَا الرَّجُل ؟ لمُحَمَّد ؟ فَأَمَّا المُؤْمِن فيقولُ : أَشْهَدُ أَنه عبد الله وَرَسُوله، فيُقال له: انظُرْ إلى مَقْعَدِكَ من النار، قد أَبْدَلَكَ الله به مَقْعَداً من الجنة، فيراهما جميعاً ....
وأما المنافق والكافر، فيُقال له: ما كنت تقول في هذا الرَّجُل؟ فيقول: لا أدري، كنتُ أقول ما يقول الناس، فيُقال : لا دَرَيْتَ ولا تَلَيْتَ. وَيُضْرَبُ بِمَطَارِقَ من حديد ضَرْبَةً، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ)).
حكم الإيمان بسؤال القبر :

الإيمان به: واجب، وهو مَذْهَب الجمهور.

عذاب القبر : تصور عذاب القبر ونعيمه

قال الجمهور: إننا نؤمن بما ورد في الأخبار، والله أن يفعل ما يشاء من عقاب ونعيم، ويصرف أبصارنا، ويغيبه عنا.

فلو كان الميت بيننا، فلا يمتنع أن يأتيه الملكان، ويسألانه، ويجيبهما من غير أن يشعر الحاضرون بهما، ومثال ذلك: نائمان بيننا أحدهما ينعم، والآخر يعذب، ولا يشعر بذلك أحد من حولهما.

وليس للعقل وقوف على كيفية عود الروح إلى الجسد، وكيفية عذاب القبر ونعيمه، لكونه لا عهد له به في هذه الدار، والشرع لا يأتي بما يُحيله المَعْقُول، ولكنه قد يأتي بما تَحارُ به العقول ، وأخبارهم قسمان:

أ- ما يشهد العقل والفطرة السليمة به.
ب- لا تدركها العقول كالعيوب.

فكل خبر يظن أن العقل يحيله، فلا يخلو من أحد أمرين:

أ- الخطأ في النقل.
ب- فساد في العقل، فتكون شبهة خيالية.

والعُلماء يتفقون على أن الله تعالى يعيد إلى الميت في القبر نوع حياة، قدر ما يتألم ويتلذذ، ويشهد بذلك الكتاب والأخبار والآثار.

القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار:

قال النبي : إنما القبر رَوْضَة من رياض الجَنَّة أو حفرة من حفر النار). وهو بيان لما في القبر من نعيم وعذاب.

ويجب أن يعلم أن ذلك ليس من جنس نار الدنيا ونعيمها، وإن كان الله تعالى قَادِراً على أن يحمي التراب والحجارة التي فوقه وتحته، حتى يكون أعظم حراً من جمر الدنيا، ولو مَسَّهَا أَهل الدنيا لم يُحِلُّوا بها، بل أعجب من ذلك أن الرجلين يُدفن أحدهما إلى جنب صاحبه، أحدهما في روضة من رياض الجنة، والآخر في حفرة من النار، لا يصل من أحدهما إلى جاره حر ناره أو نعيمه.

ولو أَطْلَعَ الله تعالى العباد على ما هو محجوب عن إدراك العقول، لزالت حكمة التكليف والإيمان بالغيب.

وعذاب القبر، وهو عذاب البرزخ، ونعيمه ينال مستحقه، سواء قبر أم لم يقبر، أكلته السباع أو احترق، حتى صار رماداً ونسف في الهواء ...).

وما وَرَدَ عن النَّبيِّ - صلى الله عليه وسلم - من إجلاس الميت واختلاف أضلاعه ونحو ذلك فيجب أن يُفهم عن الرَّسُول عليه السلام مُراده من غير غُلُو ولا تقصير ... لأن الدور ثلاث، لكل دار أحكام تخصها، وهي:

١. دار الدنيا، وأحكامها على الأبدان، والأرواح تبعاً لها.
٢. دار البرزخ، وأحكامها على الأرواح، والأَبدان تبعاً لها.

٣. دار القرار، وأحكامها على الأرواح والأبدان جميعاً.

أما كيفية وصول العذاب إلى من تفرقت أجزاؤه في التراب أو الهواء... فإن العذاب يسري في دار البرزخ على الروح، والبدن تبع لها ، وليس ببعيد على الله تعالى أن يجعل للروح تعلقاً بأجزاء البدن وإن تباعدت، واليوم نرى اللاسلكي والبث الإذاعي يصل إلى مختلف أنحاء العالم في وقت واحد، وكذلك الحال في الكهرباء إذ تصل إلى أماكن متباعدة عند فتح الصمام المخصص للإيصال، وتصرف الروح أغرب وأعجب من هذا بكثير.

حكم الإيمان بعذاب القبر :

عذاب القبر للكافر والفاسق حَقٌّ، والإيمان به واجب، وهو قول الجمهور.

واستدلوا على إثبات عذاب القبر بما يأتي:

١ – قوله تعالى في آل فرعون: النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوا وَعَشِيًّا) /غافر :٤٦ .

أي: قبل يوم القيامة وذلك في القبر، بدليل قوله تعالى: (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ)/غافر: ٤٦ .

٢- قوله تعالى: قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَنَا اثْنَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ)/غافر :١١. فالمراد بالإماتتين والإحياءين في هذه الآية هو : الإماتة قبل مزار القبور، ثم الإحياء في القبر، ثم الإماتة فيه أيضاً بعد مسألة منكر ونكير، ثم الإحياء للحشر. قال المُفَسِّرُون: والغرض بذكر الإحياءين أنهم عرفوا فيهما قدرة الله على البعث، ولهذا قالوا: فاعترفنا بذنوبنا، أي الذنوب التي حصلت بسبب إنكار الحشر، وإنما لم يذكر الإحياء في الدنيا، لأنهم لم يكونوا معترفين بذنوبهم في هذا الإحياء.

وذهب بعضهم إلى أن المراد بالإماتتين ما ذكر، وبالإحياءين الإحياء في الدنيا، والإحياء في القبر، لأن مقصدهم ذكر الأمور الماضية، وأما الحياة الثالثة أعني حياة الحشر فهم فيها، فلا حاجة إلى ذكرها.

وعلى هذَيْنِ التَّفْسِيرين ثبت الإحياء في القبر.

١. قال تعالى: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا}/ طه :١٢٤ .

قال أبو سعيد الخُدْرِي وعبد الله بن مَسْعُود : ضنكاً، أي: عذاب القبر.

٢. قال : إنهم – أي: أهل القبور – يُعَذَّبُونَ عَذَاباً تَسْمَعُه البهائم كُلُّها.

حَدِيث البراء بن عازب وأنس بن مالك المتقدمان في أدلة سؤال القبر.

وأنكر عذاب القبر : جهم ، والمُعْتَزِلَة ، وضرار بن عمرو، وبشرالمريسي).

اليوم الآخر

من الأمور المسلم بها في الدين الإسلامي الاعتقاد بحياة أخرى بعد الموت، يبعث الناس بعد موتهم، ويحاسبون على ما قدموا من أعمال، فيجازون عليها، فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات قلهم جنة الخلد، وأما الذين كفروا وعملوا السيئات قلهم النار، يشقون فيها بالعذاب الشديد ومن يعمل مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه ومَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرا بره) [الزلزلة : ٧-٨].

تسميته

وسمي باليوم الآخر لأنه آخر أيام الدنيا، بمعنى أنه متصل بآخر أيام الدنيا، لأنه ليس منها، حتى يكون آخرها.

وسمي بيوم القيامة لقيام الناس فيه من قبورهم، وقيامهم بين يدي خالقهم، وقيام الحجة لهم وعليهم، وله نحو ثلاثمائة اسم) .

حكم الإيمان باليوم الآخر:

الإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان، يكفر من لا يؤمن به بالإجماع. وقد فصل القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف أخبار اليوم الآخر، وما يتصل به من مشاهد القيامة، وفصل أوصاف أهله في الجنة والنار، برزت فيه المشاهد حية واضحة مكتملة السمات، تخفق لها القلوب، وتقشعر منها الأبدان .

أدلة اليوم الآخر

يمكن أن نقيم الأدلة على اليوم الآخر بما يأتي:

الدليل الأول: إمكان اليوم الآخر.

اليوم الآخر ممكن الوقوع، والإشارات الدالة على ذلك هي:

١- أن الإنسان والكون ليسا أبديين، فالنهاية المروعة آتية عليهما لا محالة، فالإنسان يموت، والكون يفنى، وهذا يعني أن نظام الكون الموجود حالياً سيدمر، وأن الذي نشاهده من معالم هذا النظام ما هو إلا صورة مصغرة

أولية، سوف يتجلى عنها في صورة نهائية كبرى، نلقاها غداً في صورة الواقع.

٢- يتألف الجسم الإنساني من الخلايا، وهي ذرات صغيرة جداً ومعقدة، يزيد عددها في جسم الإنسان على ألف مليون مليون خلية تبني الجسم كما يبنى الجدار، وهذه الخلايا تتغير، فيموت منها ١٢٥ مليون خلية في الثانية الواحدة.

الدليل الثاني: البحوث المؤيدة لليوم الآخر.

١. البحث النفسي :

سَلَّمَ فرويد وعُلَماء النفس بصفة عامة بنظرِيَّة مقتضاها: (أن كل ما يخطر على بال الإنسان من الخير والشر، ينقش في صفحة اللاشعور، فلا يزول إلى الأبد، ولا يؤثر فيه تغير الزمان وتقلب الحدثان، ويحدث هذا على رغم الإرادة الإنسانية طوعاً أو كرهاً).

والبحوث النفسية تؤكد أن الوجود الإنساني الحقيقي هو في (اللاشعور)، لا يطرأ عليه الموت، ولا تحكمه قوانين الزمن. أما الجسم المادي فهو في تغير وتحطم وفناء، فلا يعتبر وجوده وجوداً حقيقياً، وهذا يعني أن الحياة الجارية لن تفنى أبداً، بل ستستأنف مسيرتها بعد الموت، وسوف نكون على قيد الحياة، والموت لم يكن إلا نتيجة الحواجز والقوانين الزمنية.

٢. البحوث الروحية

أثبتت البحوث الروحية الحياة بعد الموت على المستوى التجريبي، فمن خصائص الإنسان التي يتمتع بها من قديم الزمان (الرؤيا)، ولكن الحقائق المثيرة التي اكتشفها علماء النفس اليوم كانت علميَّة عميقة، لم يكن للقدماء علم بها.

والبحوث الروحية وهي فرع من علم النفس الحديث تهدف إلى الكشف عن ميزات الإنسان غير العادية، وقد أقيمت لهذه البحوث معاهد كثيرة في العالم، وأجرت تَجَارِب وَاسعة النطاق على آلاف الناس، وأثبتت هذه المعاهد:

أن الشخصية الإنسانية تواصل بقاءها بعد فناء الجسد المادي في صورة غريبة.

٣. الشهادة التجريبية

والشهادة التجريبية التي تثبت الحياة بعد الموت هي: حياتنا الأولى في حد ذاتها ، فتسليمنا بوقوع حادث في الحال وإنكاره في المستقبل، ما هو إلا عداء للمنطق

والعقل، وقد ذكر جميع العلماء بما فيهم دارون الذين حاولوا شرح الكون والحياة: أنه لو هيئت الأحوال نفسها التي ساعدت في خلق الحياة الأولى، فمن الممكن حدوث الحياة ولوازمها مرة أخرى.

البعث(المعاد الجسماني والروحاني) والنشور

البعث هو أن يبعث الله تعالى الموتى من القبور، بأن يجمع أجزاءهم الأصلية ويعيد الأرواح إليها.

والنشور : يرادف البعث في المعنى، يقال: نشر الميت إذا عاش بعد الموت. وأنشره الله: أي: أحياه).

وقد اختلفوا في المعاد على قولين:

الأول: نفاه الطبيعيون ، ذهاباً إلى أن الإنسان هو هذا الهيكل المحسوس، الذي يفنى بصورته وأعراضه فلا يعاد. وهم لم يروا بأعينهم ميتاً بعث حياً، وحكى لهم ما جرى له بعد موته.

الثاني: أثبته الحكماء والمليون.

قال ابن قيم الجوزية: مَعَاد الأَبْدَانِ مُتَّفَق عليه بين المُسْلِمِين واليهود والنَّصَارَى.

وقال الجَلال الدَّوَّانِي : المعاد الجسماني يجب الاعتقاد به، ويكفر منكره، وهو حق بإجماع أهل الملل الثلاث (أي: المُسْلِمُون واليهود والنَّصَارَى)، وشهادة نصوص القرآن في المواضع المتعددة، بحيث لا يقبل التأويل.

حيث توعد منكري البعث واليوم الآخر بالعذاب الأليم لكفرهم، قال تعالى: وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِ ذَا كُنَّا تُرَابًا أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ الْأَغْلَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) - الرعد ه .

ولكن اختلفوا في كيفيته على أقوال هي:

الأول: المعاد روحاني فقط، وهو قول الفلاسفة لأن البدن ينعدم بصوره وأعراضه، فلا يعاد والنفس جوهر مجرد باق لا سبيل إليه للفناء، فيعود إلى عالم المجردات بقطع التعلقات.

الثاني: المعاد جسماني فقط، وهو قول جمهور المُسْلِمِين، لأن الروح جسم سار في البدن سريان النار في الفحم والماء في الورد.

الثالث: روحاني وجسماني معاً، وهو قول الغزالي والكعبي والحَلِيمي والراغب وأبي زيد الدبوسي، ذهاباً إلى أن النفس جوهرٌ مُجَرَّد يعود إلى البدن. وهو رأي كثير من الصوفية والشيعة والكَرامِيَّة وجمهور النَّصَارَى والتناسخية.

أدلة وقوعه:

واستدل أهل الحق على أن المعاد الجسماني حق بالمَنْقُول والمَعْقُول.

فمن المَنْقُول:

١. من الكتاب العزيز قوله تعالى:

أ- وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا) – النَّحْل

ب- قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ - - التغابن .

ج- ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ) - المُؤْمِنونَ ١٦ .

د- فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ) - يس ٥١.

ه- فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةً - - الإسراء ٥١

٢. ومن الحَدِيث الشريف:

أ- وعن ابن عباس رضي اللهُ عَنْهُما قال : قام فينا رَسُول الله ﷺ خَطِيباً بموعظة فقال: يا أيها الناس إنكم تحشرون إلى الله حُفَاة عراة غُزلاً ، كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ، وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَعِلِينَ) – الأنبياء ١١١٠٤) .

ب- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : جاء العاص بن و٩ائل إلى رَسُول الله ﷺ بعظم حائل، ففته بيده فقال: يا مُحَمَّد . يحيي الله هذا بعد ما أَرَم؟ قال: نعم، يبعث الله هذا، ثم يميتك، ثم يحييك، ثم يدخلك نار جهنم فنزلت الآيات من آخر سورة يس : أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ، قَالَ مَن يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِنْهُ تُوقِدُونَ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ) إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ، مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ وهذا نص صريح في الحشر الجسماني، يقلع عرق التأويل بالكلية.

٣- ومن الإجماع ومن المَعْقُول:

١ - أن الأنبياء تأتي بما تدركه العقول، أو تتحير فيه، ولا تأتي بما تحيله العُقُول أبداً.

والمعاد ممكن لأنه: إما إيجاد ما انعدم، أو جمع ما تفرق، أو إحياء بعدما أميت. وهذه كلها ممكنة لا إحالة في ذلك، وأخبار الأنبياء والكتب السماوية وخاصة القرآن الكريم كثيرة جداً.

الأصل فيما لا دليل على وجوبه ولا على امتناعه هو الإمكان كما يقول الحكماء والمتكلمون من أن كل ما قرع سمعك من الغرائب قدره في حيز الإمكان، ما لم يردك عنه قائم البرهان، فمن زعم عدم إعادة المعدوم ، ألزم بالمبدأ، فإن المبدأ مثل المعاد، بل هو عينه أو أيسر - كما مر - وهو لا يخفى على العاقل الحصيف.

وعليه فإن المعاد الجسماني حق واقع، فصانع الساعة إذا جزاها إلى أجزائها الصغيرة هو قادر على إعادتها إلى ما كانت عليه، متقنة تضبط الوقت بدقة، ولا يستطيع أحدٌ إنكار ذلك، فالشك في البعث الخلق الثاني) هو شك في قدرة الله تعالى على الخلق الأول، وفي كونه علة الوجود.

منكري اليوم الاخر وشبهاتهم

نبذة تاريخية عن فكرة اليوم الآخر، منذ أقدم الأزمنة إلى وقتنا الحاضر، في أشهر الحضارات والديانات العالمية

١. في حضارة وادي الرافدين

فكرة القيامة وبعث الأموات :

لم يوجد دليل من النصوص المسمارية يثبت أن العراقيين القدماء يعتقدون بقيامتهم وبعثهم من الموت، وليس هناك ما يثبت إمكانية عودة روح الميت (الاطمو)

إلى جسده .

وهذا المعنى نجده واضحاً على لسان (كلكامش) حين يندب صديقه (أنكيدر)

فيقول :

أو لقد غدا صاحبي الذي أحببت تراباً، وأنا سأضطجع مثله فلا أقوم أبد الآبدين) .

أما حين تتحدث النصوص المسمارية القديمة عن عودتها إلى عالم الأحياء، فإنها تقصد عودتها بهيئة أشباح مستقلة عن الجسد.

فكرة الحساب :

ذهب الأستاذ ها يدل وكريمر وبعض الباحثين إلى أن هناك إشارات واضحة في النصوص المسمارية القديمة تدل على اعتقادهم بفكرة الحساب في عقائد ما بعد الموت في العراق القديم ، كما يعتقد المصريون القدماء.

لكن بعد النظر في ما أوردوه من إشارات في النصوص المسمارية، رجح الباحثون انتقاء اعتقادهم بوجود حساب للموتى في عالم الأموات، وبالتالي انتقاء وجود عقاب أو ثواب في ذلك العالم.

وارتكاب أي خطيئة ينجم عنه أضرار جسيمة تتجلى في أمرين :

١. تخلي الآلهة عنه، فيقع عندئذ فريسة للمصائب والكوارث والأمراض وتلاشي السكينة والهناء
٢. تقصير أجل الحياة، وإحلال الموت بالذنب، عقاباً له على ما ارتكبه من خطيئة.

فإن عالم الأحياء في نظرهم هو دار الثواب والعقاب، وليس عالم الأموات. يدل على ذلك: أن عَقِيدَة العقاب والثواب بعد الموت، تمثل الوازع النفسي في تصرفات المرء، وفي لحظات اختباره ما بين ما يريد أن يفعله، وبين ما يجب أن يمتنع عنه. وعَقِيدَة سكان وادي الرافدين هذه قد جعلتهم عزلة من أي ضمان، بانهزام الشر، وإنصاف المظلومين، وثواب الخيرين، في الحياة الأخرى في العالم الأسفل، لذلك حملوا الحياة في ظل حَضَارَة وادي الرافدين بكل أدوارها، وشحنات من القلق والتوتر والتساؤلات البائسة، إضافة إلى نوع من الشعور بالخيبة).

والنصوص المسمارية توضح هذا الجانب بشكل جلي.

٢.عند المصريين القدماء

يعتقد المصريون القدماء سنة ٢٦٠٠ ق. م، أو قبل ذلك، وفيما يتعلق بغير ذلك بعد الموت، يلقى الفرد جزاءه على ما فعل من خير أو شر، وهذه العَقِيدَة لم تكن قاصرة على طبقة الكهنة، بل تعدهم إلى الأوساط الشعبية.

يقول المرحوم عبد القادر حَمْزَة باشا في كتابه على هامش التاريخ المصري القديم) عن هذه الفترة:

وفي هذا الوقت كانت عبادة أوزريس قد أخذت تقضي وتصير عِبَادَة شعبية .... وعبادة أوزريس أساسها الأول أن كل إنسان – ملكاً كان أو فرداً عادياً - مسؤول

بعد الموت عن أعماله في الدنيا، أمام محكمة إلهية يتولى القضاء فيها أوزريس نفسه، ويساعده فيها توت وهو إله الحكمة والعلم، وأنوبيس وهو مدير دفن الموتى ومصححهم في الدار الآخرة، وحوريس وهو ابن أوزريس وايزيس ومعهم آلهة الحقيقة والعدل واثنان وأربعون قاضياً.

فإذا حكمت المحكمة بأن حَسَنَات الميت ترجح سيئاته، كُوفِئ بالنَّعِيم الخالد،وصية مثل أوزريس. أما إذا حكمت المحكمة بأنه أساء في حياته فجزاؤه أن يفترسه الوحش، أو أن يلقى في النار، أو أن يضرب عليه نوع آخر من أنواع العذاب).

وأما تصورهم للثواب فهو الصعود إلى السماء بعد رحلة جمة المخاطر، للإقامة مع الآلهة أو مع الإله (رع) في سفينته، ويسمى هؤلاء الممجدين، وهؤلاء يقيمون في حقل الطعام، يتناولون أطعمة شهية مُخْتَلِفَة، تتجدد ولا تنفد، وصحتهم تزداد تحسناً، فاليوم أَحْسَن من أمس، وغداً أَحْسَن من اليوم، كما أن السماء (نوت) والثعبان الذي يحمي الشمس، يعطيان الصاعد إلى السماء حين وصوله إليهما ثدييهما، ليرضع منهما، فمتى رضع عاد صبياً.

٣. في الديانة الزرادشتية

هنالك تشابه كبير في عَقِيدَة الزَّرَادَشْتِيَّة ومصر القديمة، في الحساب والنعيم والجحيم، ويتضح هذا فيما يأتي:

يرى الزَّرَادَشتِيُّون أنه عندما يموت الميت، تظل الروح ثلاثة أيام وثلاث ليال معلقة إلى جانب الجسم، مُنَعَمَة بِنَعِيمه أو مُعَذِّبَة بعذابه، وفي فجر اليوم الرابع تهب عليها ريح: إما عطرة إذا كان الميت خَيْراً، وإما نتنة إذا كان الميت شريراً، فتحملها إلى موضع يلتقي فيه: إما بفتاة جميلة، وإما بعجوز مفزعة، وليست الأولى فتاة حقيقية، ولا الثانية عجوزاً حقيقية، وإنما هي صورة أعمال الميت، وهي ضميره الذي يقوده إلى حيث معبر الحساب والحكم الأخير.

٤. عند الرومان

وذكر صور الحساب أيضاً الشاعر فرجيل شاعر الرومان الأكبر (٧٠-١٩ ق. م.)في ملحمته الإلياذة فيذكر :

آن اينياس بطل الملحمة يذهب إلى العالم السفلي، للالتقاء بروح أبيه (انشير) لاستفتائها في مستقبله ومستقبل ذريته، ويهبط مع كاهنة تقوده إلى منازل الموتى، وقد امتلأت أشباحاً وأرواحاً، ويعبران نهر (ستكس)، وهو نهر في الجحيم مليء

بالحيات والحيوانات المخيفة، ومرا في عالم كله يأس وقنوط، وأخيراً لقي أباه، فأنبأه بما قد كتب السلالته من مجد وفخار.

٥. عند الهندوس

لا يعتقد الهندوس بالحياة الأخرى التي يكون فيها الجزاء، ولكنهم يعتقدون بالكارما أي قانون الجزاء، ويعني:

أن جميع أعمال البشر الاختيارية خَيْراً كانت أم شراً، لا بد أن يجازي عليهم بالثواب أو بالعقاب، بناءً على ناموس العدل الصارم، وهذا الجزاء يكون في الحياة.

ولكنهم حين رأوا أن الجزاء قد لا يقع، فيموت الظالم، ولا يقتص منه، ويموت المُحْسِن، دون أن يحسن إليه، لجؤوا إلى القول بالتناسخ.

والتناسخ ويسمى (تكرار المولد هو : رجوع الروح بعد خروجها من جسم إلى العالم الأرضي في جسم آخر.

وسبب التناسخ أن الروح خرجت ولها شهوات لم تتحقق بعد، وعليها ديون كثيرة لا بد من أدائها، فلا بد من أن تتذوق ثمار أعمالها في حياة أخرى، أي في جسد آخر، فإن لم تصلح في هذا الجسد، ففي جسد آخر، وهكذا إلى أن تكتمل الميول والشهوات، وتستوفي الديون، فإن اكتملت نجت روحه، وتخلصت من التناسخ، وامتزجت بالبراهما .

ونشأ ما هو مشهور عندهم من تعذيب الجسد بالصوم، والزهد المفرط، وأرق الليل، وتعذيب النفس، وتعريضه لأشق التجارب، حتى يبدو هذا دائماً كثير الهموم والخوف والتشاؤم في سبيل تخليص الروح من سيطرة الجسد، لتنطلق منه في النهاية، وتتحد مع البراهما.

٦. عند الصابئة

يعتقد الصَّابِيَّة المَنْدَائِيُّون أن الموت انتقال من العالم المادي – الذي هو بمثابة سجن ومنفى مؤقت للروح – إلى العالم الروحي، وتخلد هناك، فتتحاسب حساباً عسيراً، بأن توزن أعمال صاحبها، فإن رجحت حسناته فإن روحه تذهب إلى عالم الأنوار (الجنة)، فتتنعم كالقديسين والروحانيين. وإن رجحت سيئاته فإن روحه تقاد إلى المطهر (المطرائه في عالم الظلام (النار)، حيث تتعذب فيه بدرجات متفاوتة إلى أن تتطهر من ذنوبها، ثم ترسل إلى عالم الأنوار.

٧. عند اليهود

اليهودية في جوهرها أسلوب حياة، لا عَقِيدَة تعتقد، ومجالها الأوحد هو هذا العالم الحاضر، وليس فيما وراء هذا العالم.

وفي دائرة المعارف العبرية يقرر كوهلر: إن اليهودية ليست عَقِيدَة، أو نظاماً من العقائد يتوقف على قبولها الفداء أو الخلاص في المستقبل، ولكنها نظام للسلوك البشري وناموس البر الذي يتحتم على الإنسان اتباعه.

ولما كانت اليَهُودِيَّة دينَ أَعْمَال لا دين إيمان، لم يتكلم اليهود في كتبهم عن الآخرة والبعث والحساب، لأنها أمور متوقفة على العَقِيدَة، والثواب والعقاب عندهم يتم في الحياة الدنيا. لكن بعد احتلال الفرس – الذين يدينون بديانة زَرَادَشت – بلاد بابل ودولتي اليهود، وبعد أن سمح قورش ملك الفرس لليهود بالعودة إلى فلسطين، وإعادة بناء معبدهم، قامت علاقات طيبة بين اليهود والفرس، فدرس اليَهُودِ عَقَائِد زَرَادَشت، فاقتبسوا منهم الاعتقاد بالحياة الآخرة.

٨. عند النَّصَارَى

يعتقد النَّصَارَى باليوم الآخر، وبعث الأموات من القبور والحساب على ما قدم الإنسان من عمل في الحياة الدنيا، لكنهم يقولون بأن المحاسب هو المسيح عَلَيْهِ السلام، وأن الجنة جزاء من يعمل الخير، والنار جزاء من يعمل الشر

الصراط

تعريفه

الصراط لغة: الطريق الواضح من سرطت الشيء إذا ابتلعته (بالصاد والسين)، لأنه يبتلع المارة، ومنه قوله تعالى: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ) الأنعام :١٥٣.

واصطلاحاً: هو جسر ممدود على ظهر جهنم، يكسر عليه جميع الخلائق، المؤمن غير المؤمن، فهو قنطرة جهنم بين الجنة والنار.

وأَدِلَّة ثبوت الصِّرَاط من القرآن الكريم آيات منها:

أ- (وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ) /يس: ٦٦.
ب- (وَإِنْ مِنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًا ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا)/ مريم:٧١-٧٢، أي: واردو النار.

وأحاديث كثيرة منها قوله: (ثم يُضرب الجِسْرُ على جهنم، وتحل الشفاعة، ويَقُولُونَ اللَّهَ سُلِّمْ سَلِّم. قيل: يا رسول الله، وما الجِسْرُ ؟ قال: دَحْضٌ مَزِلَّةٌ، فيه خَطَاطِيْفُ وَلَكَلالِيْبُ وحَسَكٌ، تكون بنجد فيها شُويكة، يقال لها السَّعْدَانِ، فَيَمُرُّ المُؤْمِنُونَ كَطَرْفَ الْعَيْنِ، وَكَالَبَرْق، وَكَالَرِيح، وَكَالَطَيْر، وَكَأَجَاوِيدُ الْخَيْلِ وَالْركابُ فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَمَخْدُوشٌ مُرسَلٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جهنم).

وعندما يمر المُؤمِنون على الصراط يُعطُونَ نورهم على قدْر أعْمَالهم، فمنهم من يُعطى نوره مِثْلَ الجَبَلِ بين يَدَيْهِ، ومنهم فوق ذلك، ومنهم دونه، كما يشير إلى ذلك الحديث الذي رواه البيهقي.

الحكمة من المرور على الصراط

هي ظهور النجاة من النار، وتَحَسُّر الكفار من فوز المؤمنين بعد اشتراكهم معهم في المرور.

حكم الإيمان به

الإيمان به واجب عند الجمهور ، لما تقدم من الأدلة الصريحة. ووَافَقَهُم بعض المُعْتَزِلَة ، وبعض الإباضية.

وأنكره أكثر المُعْتَزِلَة ، وفريق من الإباضية فقالوا: إن الصراط هو الحق المشروع وأن أصناف السالكين فيه تمثيل لرتب المُكَلَّفين.

الميزان

الميزان تعريفه

الوزن في أصل اللغة: مَعْرِفَة كمية بأخرى على وجه مخصوص . والميزان في اللغة: معروف.

وفي الاصطلاح هو : أن الله تعالى ينصب ميزاناً، وله لسان وكفَّتَان يوم القيامة، توزن به أَعْمَالَ العِبَادِ خَيْرها وشرها. وهذا قول الجمهور. لظاهر الأَحَادِيثِ الوَارِدَة في ذلك.

قال العلماء: إذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال، لأن الوزن للجزاء فينبغي أن يكون بعد المحاسبة، فإن المحاسبة لتقدير الأعمال، والوزن لإظهار مقاديرها، ليكون الجزاء بحسبها.

ودليل ثبوت الميزان من القُرْآنِ الكَرِيم:

أ- قوله تعالى: وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَسِبِينَ) - الأنبياء ٤٧ .

ب- وقوله سُبْحَانَهُ: فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ - - القارعة.

ج- وقوله تعالى: وَمَنْ خَفَّتْ مَوَزِينُهُ فَأُولَبِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِشَايَتِنَا يَظْلِمُونَ) – الأعراف ..

الموزون

اختلف العلماء في ما يوزن تبعاً لاختلاف الأحاديث الواردة فيه على أقوال:

القول الأول: صحف الأَعْمَال. وهو ما صَحَّحَهُ القُرْطبي وابن عبد البر، وصوبه الشيخ مَرْعِي، وذهب إليه جمهور من المُفَسِّرين، بدليل :

أ. قوله : إن الله سيُخلص رَجُلاً من أُمَّتِي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً، كلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدّ البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شَيئاً؟ أَظْلَمَك كَتَبَتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب. فيقول: أَفَلَكَ عُذر؟ فيقول : لا يا رب. فيقول: بلى إن لك عندنا حَسَنَة، فإنه لا ظلم عليك اليوم. فتخرج له بطاقة، فيها أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُه وَرَسُوله، فيقول : أَحْضِرِ وَزْنَكَ، فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ فقال: إنك لا تظلم. قال: فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كِفَّة، فطاشت السجلات، وثَقُلَت البطاقة، فلا يَثقُلُ مع اسم الله شيء.

ب. إن الرسول ﷺ سئل عما يوزن يوم القيامة، فقال: الصحف.

ت. قال ابن عمر : توزن صحائف الأعمال.

القول الثاني: العامل بدليل العقيدة الإسلامية ومذاهبها

أ- حديث البطاقة السابق الوارد بلفظ آخر : توضع الموازين يوم القيامة، فيؤتى بالرجل فيوضع في كفة ... الحديث.

ب- قوله : إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة، لا يَزِنُ عندَ الله جَناحَ بعوضة، وقال: اقرؤوا : فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنَا - - الكهف ١٠٥.

ج- عن ابن مَسْعُود رَضَ اللَّهُ عَنْهُ أنه كان يَجْتَنِي سواكاً من الأَراك، وكان دقيق الساقين فجعلت الريح تكفوه، فضحك القوم منه، فقال رسول الله ﷺ: مِمَّ

تضحكون؟ قالوا: يا نبي الله، من دقة ساقيه. فقال : والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد.

الحكمة من الميزان

هي إظهار العدل وبيان الفضل، حيث إنه يزن مثاقيل الذَّر من خير وشر ، فهو علامة لأهل السعادة والشقاوة، وبه يعرف العباد ما لهم وما عليهم من الخير والشر، فتقام الحجة عليهم.

حكم الإيمان به

الإيمان بالميزان واجب، وهو قول الجمهور، لثبوته بالكتاب والسنة كما تقدم.

وأنكر الميزان جهم بن صفوان ، والمُعْتَزِلَة والإباضية والمُرْجِيَّة والخوارج وزعموا أن الميزان هو العدل، لأن الأعمال عندهم هي أعراض، والأعراض يستحيل وزنها، إذ لا تقوم بنفسها ، ولا توصف بالخفة والثقل.

وجوابه هو :

أَنَّ جسم الإنسان وغيره من الجواهر على الأرض له وزن معين، وذلك بتأثير الجاذبية الأرضية، ولكن حين ينفصل عن جاذبية الأرض ينعدم وزنه، فالجسم في القمر مثلاً ليس له وزن وفي الأرض له وزنه. كذلك الأعمال وهي أعراض في الدنيا لا وزن لها، لكن لا مانع من أن تقلب في الحياة الآخرة أجساماً فتوزن.

يؤيد هذا :

أ- ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن الله تعالى يقلب الأعراض أجساماً، فيزنها يوم القيامة.

ب - قوله : (يؤتى بالموت كبشاً أَغْثَرَ ، فيوقف بين الجنة والنار، فيقال: يا أهل الجنة، فيَشْرَيْبون وينظرون. ويقال لأهل النار ، فيَشْرَيْبون وينظرون، ويرون أن قد جاء الفرج، فيذبح فيقال: خلوداً لا موت).

فالموت، وهو عرض في الدنيا، يُقلب جسماً في الآخِرَة ويُذبح، فكذلِكَ الأَعْمَال.

الحوض

أدلته ووصفه

الحوض الذي يُعطاه النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) فِي الآخِرَة ثابت بالأَحَادِيثِ الصَّحِيحة.

والأحاديث الواردة في ذكر الحوض ووصفه تبلغ حد التواتر، رواها من الصَّحَابَة بضع وثلاثون صَحَابِيّاً، استقصاها ابن كثير في آخر تاريخه البداية والنهاية ، منها :

عن أبي ذر قال: قلت يا رَسُول الله : ما آنية الحوض ؟ قال: والذي نفسُ مُحَمَّد بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها، ألا في الليلة المظلمة المُصْحية، آنية الجنة مَنْ شَرِبَ منها لم يظمأ آخر ما عليه، يَشْخُبُ فيه مِيزَابَان من الجَنَّة، من شَرِبَ منه لم يظمأ ، عَرْضُهُ مِثْلُ طوله، ما بين عَمَّان إلى أَيْلَةَ، مَاؤُه أَشَدُّ بياضاً من اللَّبَن وأحلى من العسل.

وقال : حَوْضِي مَسِيرَة شَهْرٍ، وزواياه سَوَاء، وماؤه أبيض من الورق، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، فمن شَرِبَ منه فلا يظمأ بعده أبداً.

وعن أنس قال: بينَا رَسُول الله(صلى الله عليه وسلم) ذات يوم بين أَظْهُرنا، إِذ أَغْفَى إغفاءةً، ثم رفع رأسه متبسماً، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: أُنزلت علي آنفاً سورة، فقرأ: بسمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ، ثم قال: أتدرون ما الكوثر ؟ فقلنا : الله وَرَسُوله أعلم. قال: فإنه نَهْرُ وَعَدَنِيْهِ رَبِي عَزَّ وجَلَّ، عليه خَيْر كثير ، هو حَوْضٌ تَرِدُ عليه أُمَّتِي يوم القيامة، أنيتُه عَدَدُالنجوم، فيُخْتَلَجُ العبد منهم، فأقول : رَبِّ، إنه من أُمَّتِي. فيقول: ما تدري ما أحدثت بعدك.

والذي يؤخذ من الأحاديث الواردة في صفة الحوض : أنه حوض عَظِيم، ومَوْرِد كريم، يمد من شراب الجنة من نهر الكوثر الذي هو أشد بياضاً من اللبن، وأبرد من الثلج، وأحلى من العسل، وأطيب ريحاً من المسك، وهو في غاية الاتساع، عرضه وطوله سواء.

أما ثبوته بالقرآن الكريم في سورة الكوثر فهو احتمال وليس بصريح، لأن العُلَمَاء اختلفوا في تفسير الكوثر، هل هو الحوض، أو الخير الكثير، أو النهر الذي في الجنة؟

من يطرد عن الحوض

قال النَّبِيِّ : لَيَرِدَنَّ عَلِيّ ناسٌ من أَصْحَابِي الحوض، حتى إذا عرفتهم، اخْتُلِجُوا دوني، فأقول: أصحابي ؟ فيقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك.

وقال : (إني على الحوض حتى أَنظُرَ مَنْ يَرِد عَلِيّ منكم، وسيُؤْخَذُ أُناسٌ دوني، فأقول: يا رَبِّ مِنِّي ومِنْ أُمَّتِي، فيقال: أما شَعَرْتَ ما عملوا بعدك؟ والله ما برحوا بعدكَ يَرْجِعُون على أعقابهم).

قال العلماء: فكل من ارتد عن دين الله، أو أحدث فيه ما لا يرضاه، ولم يأذن به الله، فهو من المطرودين عن الحوض المبعدين عنه.

حكم الإيمان به:

الإيمان بالحوض واجب، فيثاب عليه من صدق به، ويبدع ويفسق جاحده. وهو مَذْهَب الجمهور . لما مر من الأحاديث الصريحة بإثباته.

وفي ذلك رد على المعتزلة الذين نفوه.

الجنة والنار

تقدم أن الإنسان يبعث من القبر بعثاً جسمانياً – بروحه وجسده – فيتنعم المؤمن، ويتعذب الكافر، فيشهد مشاهد القيامة، حتى ينتهي إلى مكان عقابه أو ثوابه الأخير، وهو الجنة أو النار.

وقد صورتهما نصوص القرآن الكريم والسُّنَّة النَّبَوِيَّة المطهرة، بما يقطع أن لهما كياناً مادياً محسوساً، لكن صورة ذلك الكيان مقربة إلى تفكير الإنسان في الحياة الدنيا على سبيل المثال، ليعلم مدى العذاب أو اللذة الجسدية والروحية فيهما، وإلا فإن الجنة والنار أوسع وأكبر مما يتصوره عقل الإنسان في حياته الدنيا، بدليل:

قوله : (يقولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِين ما لا عين رأت، ولا أُذُنٌ سَمِعت، ولا خطر على قلب بَشَر ، ذُخْراً، بَلْه (أي: غير أَو دَعْ) مَا أَطْلَعَكُمُ اللهُ عليه، ثم قرأ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةَ أَعْيُنٍ) - السجدة ١٧).

وقوله : (ينادي مناد : إنَّ لكم أن تَصِحُوا فلا تَسْقَمُوا أَبداً، وَإِنَّ لَكُم أَنْ تَحْيَوْا فلا تموتوا أبداً، وإنَّ لكم أَنْ تَشِبُّوا فلا تَهْرَمُوْا أَبداً، وإنَّ لَكُم أَنْ تَنْعَمُوا فَلا تَبْأَسُوا أَبداً، فذلِكَ قوله عَزَّ وَجَلَّ: وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ– الأعراف٣٤.